

رسالة على البريد الإلكتروني من الصومال



هذه المقالة ترجمة لمقالة باللغة الإنجليزية كتبها عبدوب وحررها حسن جارسو قطولا، من ناجيل بورانا، إثيوبيا.

تلقيت رسالة على البريد الإلكتروني من صديق عزيز وزميل سابق في سجن "كالييتي" الفيدرالي في أديس أبابا، إنه عبدوب، وهو بالتأكيد أكثر الشخصيات حيوية على الإطلاق التي قابلتها في تلك الفترة. كانت شجاعته وتقواه وتعاطفه

وقوة إرادته قد جعلت منه قدوة نادرة بين نزلاء السجن. على الرغم من أنه كان محصوراً داخل أسوار محصنة، إلا أنه كان حراً مثل الريح. لقد أرسل هذا البريد الإلكتروني من الصومال.

ها هو البريد الإلكتروني:

لم أتوقع أبداً أن يهتم أحد غيري لمغامرتي في الحياة، ولم أفكر مطلقاً في أن تكون مغامراتي ذات سمات ملهمة، ومع ذلك فقد طلب مني الكتابة عنها. عندما كنت مراهقاً، لم أكن أعرف الكثير عن الإسلام، لكن خلال فترة حبسي، تعرفت بكل امتنان على معاني الإسلام العظيمة، ومفاهيمه الأبوية، وقوته الروحية، ثم التكاملي البنيوي لهذا الدين، اعتنقه بانسراح وأنا أقول: "الله أكبر". في مكتبة السجن، قرأت عن الإسلام جيداً وأطلقت سلسلة من الأفكار وكان ذلك القطار هو الذي دفعني إلى الحركة. بكلمات، أضاء الإسلام أهداف حياتي وبدد المفاهيم المشوهة التي تم حفرها بشكل غير دقيق بشأن نظام الشريعة. لقد أدركت، على الأقل في ذهني، أن سر فهم الإسلام يكمن في أعماق معاني القرآن، فمجرد التركيز على جوانب طقوسه مثل الصلاة مجردة من معانيها، يولد إحساساً زائفاً بالفضيلة.

كانت رحلتي حول البحث عن ملاذ في مكان لا يعتبر فيه الوعظ في سبيل الله جرماً. لقد تجاوز الشغف باكتشاف مثل هذا المكان، المخاطر التي تحف الرحلة إليه، وكنت أعلم أن شوقي العاصف لن يهدأ إلا في الأراضي الخاضعة للشريعة الإسلامية. كنت متوتراً للغاية لأن وكالة المخابرات الإثيوبية لا يمكن التنبؤ بها على الرغم من اعتقادك بأنك اكتشفت كل الأضرار الحمراء التي تثير غضبها وتجذب اهتمامها. إنهم يميلون إلى إبعادك عن الجرائم المصاغة بشكل خاطئ والتي لا وجود لها في الكتب القانونية لأننا نمثل "المشتبه بهم المعتادون". أنا في الصومال

حيث الشريعة هي الأسمى، ليس لأنني عداً يقطع الطريق، على الإطلاق، بل أنا في مهمة.

الصومال دولة رهينة التعصب القبلي، والمصالح الشخصية الشديدة، والتأثيرات الخارجية، لكن بعض الناس يودون تصوير مشاكل الصومال بالمعنى الاقتصادي والفقر، كسبب لانضمام الشباب بشكل نشط إلى حركة الشباب المجاهدين. في المقابل، الصومال أرض مزدهرة والصعوبات المالية أمر مرتبط بشكل مباشر بعدم كفاءة شعبها، لكن السبب الجذري هو أن الصوماليين وضعوا الإسلام تحت السجادة. نتيجة لهذا التفريط الروحي. أسقطت الأمة بأسرها، ليس فقط الجناة الذين أسقطوها، ولكن أيضاً أولئك الذين راقبوا ذلك بلا مبالاة، تاركين وراءهم إشارات تحذيرية للأجيال القادمة. هذا المأزق معقد لأنه يخفي أكثر بكثير مما يكشف بشكل خاص لأولئك الذين يشاهدونه بمشاهد غريبة. بناءً على قراءة خاطئة، وصف الغرب عن غير علم دواءً معيباً لمرض لا يمكن علاجه إلا بآيات قرآنية، وبالتالي، فقد أصبح المرض مستعصياً على العلاج. هذا هو السبب في أن الصومال طريح الفراش لفترة طويلة.

إذا علمتنا الحروب الأهلية ماذا يعني أن يدق جرس القبليّة، لا يوجد شيء مشترك بين الصوماليين سوى الأذان، وهي مسألة لم تحظ باهتمامها الجدير بين السكان. كان للاضطراب الذي أعقب ذلك نتائج كارثية على الكثيرين، لكن التجربة أيقظت القدرات الخفية، وصقلت الحواس، والأهم من ذلك أنها استحضرت الحاجة إلى رابطة موحدة محايدة. لقد كان الإسلام هو الذي جاء للإنقاذ وعادت الحياة إلى طبيعتها عبر الأرض، وهي الأرض التي اشتهرت بانعدام القانون. لكن الغربيين والحلفاء سارعوا إلى تقويض المشروع الديني من خلال التشكيك في شرعيته وتشويهه بمزاعم ملفقة، لكن المشروع ازدهر على الرغم من استمرار الحملة الإعلامية السلبية. وبالمثل، كانت المحاولات العسكرية العديدة غير فعالة في إخضاع

المسعى، في المقابل، انتشر نظام الشريعة كالنار في الهشيم في جميع أنحاء الصومال. كان هذا الانتصار فريداً ومتميزاً من نواح عديدة لأنه رفع الروح المعنوية وأدى إلى ظهور قناعة جديدة بأن الشريعة قابلة للتحقيق على الرغم من رفض الغرب.

يتمثل الشكل الغربي للحكم في توجيه الجماهير بقوانين مستمدة من أفكارهم الفكرية الخاصة التي تتعارض جوهرياً مع عادات الحياة الطبيعية وحركاتها الديناميكية، وبعبارة أخرى، يجب أن تكون جميع القوانين في إطار "الفطرة السليمة" منغمسة في العقليّة الأنانية، وهذا يبطل بشكل قاطع أي معايير حياة خارج المدار الثقافي الغربي. لن تنجو أي أمة مسلمة إذا كانت الشريعة خاضعة لقوانين صنعها الإنسان، وسوف تنهار في نهاية المطاف مثل بيت من ورق دون الحاجة إلى مساعدة جهات أجنبية حتى لو كانت الثروة في متناول اليد بكثرة. الإسلام مثل البحر حيث جماله يكمن ببساطة في الطرق التي تغير بها الأمواج مظهرها دون مساعدة من المواد الخارجية لتعزيز حركاتها الطبيعية، وهذا هو عنصر النقاء الذي يجعلها رائعة وقوية. يتفق جميع المسلمين على أن الحاضر الفاسد لا يمكن تصحيحه إلا من خلال محاكاة أيام النبي (صلى الله عليه وسلم) عن طريق الجهاد لتحقيق هذا النقاء الروحي.

ذات يوم، في الصومال، كانت لدي فكرة عن زيارة محكمة الشريعة في المدينة، وهي بلدة كانت تخرج من ماضٍ مدمر، وتشير المجمعات السكنية المزدهرة حديثاً إلى تطورها الاقتصادي. ارتفعت قبة المسجد المشيد حديثاً فوق كل شيء، كما أن أشعة الشمس المنعكسة عليها تجعله مرئياً من مسافة بعيدة. عند مدخل المحكمة، كانت راية التوحيد السوداء مرفوعة بجمالها الخالد، وهي الشهادة ذاتها التي رفعت البشرية من الظلمة المطلقة إلى القمة عن طريق أشكال اجتماعية أعلى. مررت عبر منطقة الاستقبال حيث كان عدد قليل من الأفراد ينتظرون دون

اكثر. تبادلنا التحية الإسلامية "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته"، وتساءلت عن مصدر هدوءهم رغم العيش في ظروف صعبة. كيف يمكن أن يكون خلاف ذلك؟ ربما حصلوا على السكينة من فطرة متأصلة بالعقيدة الإسلامية، والظروف القسوى جعلتهم ببساطة ينضجون فكرياً.

كانت المحكمة في جلسة وكانت الدعوى دعوى قضائية بخصوص جمل مئيت. يمكن للمرء أن يسمع "بسم الله" عبارة تلخص الكثير وتدفع للارتياح النفسي. لم يكن الخلاف بين أحد كبار السن حول هذه المسألة سراً لأنه خرج ينظر إلي بعينين متألقتين. على الرغم من أنه كان يتمتع بمظهر الجاذبية العميقة، ومع ذلك كان حسه الفكاهي لا يزال موجوداً، وكانت الابتسامة الرقيقة التي أسفرت عن أفكار متذبذبة مرئية بشكل واضح. استدعى الموظف الحالة التالية من الحارس الذي ردد العبارات الدقيقة في غرفة الانتظار. سمح لنا بالدخول. كان جهدي هو فهم الصورة العامة لما هي الشريعة عملياً كنظام قضائي، والوصول إلى مستوى معين من الانفصال عن الجمعيات الأجنبية السابقة.

كان التصميم الإنشائي للفناء وتجهيزاته بدائياً للغاية. طاولة خشبية، ومقاعد على طول الجدار، ورف كتب صغير، وسجادة رقيقة الطبقات تغطي الأرض ونافذة هي بوابة لمنطقة الانتظار. كانت الغرفة مشبعة بشكل ملحوظ بالذكريات الماضية: ملفات مكدسة ربما تحتوي على بحث عن العدالة عندما يصل التفكير البشري إلى طريق مسدود، ومشاعر لا حدود لها بسبب ما هو غير متوقع، وإدراك العدالة في النظرة الإنسانية - فقط إذا كانت الجدران قادرة على الكلام.

المتهم الذي اتهم بحياسة ذاكرة تحتوي على مواد غير لائقة، كان يرتدي قميص، وهو لباس إسلامي بسيط لا يلهم أي ثقافة غريبة. كان منزعاً بشكل واضح، تأهلاً في تفكير عميق ربما كان يصقل أفكاره. سارع القاضي إلى ذكر اسمه والادعاء

يحدق فيه بشكل مشكوك فيه. مع طأطأة رأسه، تتم ببساطة "الذاكرة لي" قبل أن يتراجع إلى الصمت وبادرة تمنى أن تحصل معجزة. كان القاضي، وهو رجل ملتج في منتصف العمر ممتلئ الجسم ذو عيين ثاقبتين متجعدتين ترسمان نظرة جادة لا تُنسى، شديداً في إدانته من خلال استخدام آيات قرآنية بالإضافة إلى حس فكاهي للتأثير بنداء غير مقيد. كان يتحدث بعفوية وطلاقة، معرفته تشير إلى أنه كان على دراية بالمهمة المعقدة التي أوكلت إليه.

كان قلق المدعى عليه حقيقياً. كان احتمال الجلد العلني محتملاً، فقد زاد التوتر الأجواء، وفي تعاطفي، دعوت الله من أجل نهاية سعيدة. كان القاضي قد استفسر بفضول عن حالته الاجتماعية "هل أنت متزوج؟" بينما كان يداعب لحيته الطويلة المصبوغة بالحناء تحسباً للإجابة. تجنب المدعى عليه الاتصال بالعين، ببساطة هز رأسه للرد وهو يكسر أصابعه بعصبية. بعد أن أشبه بخطبة غطت كل زاوية من جوانب الأخلاق الفردية، حذره القاضي قبل أن يأمر بالإفراج عنه. لقد وقف براحة غامرة لا يمكن تمييزها عن الاسترخاء، ويمد يده الطويلة نحو القاضي في امتنان، وأقر بالقرار الإيجابي وبجريمته وحمد الله. بطريقة ما، شاركنا ضمناً الشعور بالإعجاب لبساطة العملية ووضوحها السيادي. إن مفهوم وآلية القضاء الإسلامي هو التطبيق العملي للقرآن وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) ولكن دون معرفة الروح الحقيقية للإسلام، لا يمكن للمرء أن يقدر أو يستخدم سلطته بشكل مناسب.

يحمي الإسلام الفضيلة البشرية من خلال توفير مجموعة من القيم الأخلاقية الإلهية ولا يوجد شيء غير مهم أو مهمل في القرآن وسنة النبي (صلى الله عليه وسلم). من المؤكد أن هذه المحتويات غير اللائقة تستدعي السعي وراء الملذات الجسدية غير القانونية خارج حدود الإسلام ناهيك عن الانحلال الأخلاقي. قال الله سبحانه وتعالى: (وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ).

نعم، الله لا يحب ناشر الفساد. "المسلمون مأمورون بالتصرف في دائرة الإسلام من خلال الاقتداء بالنبي (صلى الله عليه وسلم) في جميع الجوانب.

على النقيض من ذلك، فإن المصطلحين "جيد" و "سيئ" في المجتمعات الغربية يتركان بالكامل لحس خيال الفرد، ولا يوجد مجال للتدخل الديني في الأمور التي تتحدى التفكير البشري أو لا يمكن إثباتها في العلم. على سبيل المثال، ما يُعتبر "جيداً" في بلد ما يُحتقر في بلد آخر بسبب الافتقار إلى القيم الأخلاقية الملموسة، وعنصر "النصرانية" ليس أكثر من رابط موحد وألفة ومنطقة راحة. لإضعاف المعايير الأخلاقية الإسلامية، يستخدمون المساعدات الإنسانية والتقدم والتعليم وما إلى ذلك كطعم لتفكيك الأخلاق الإسلامية. وقد مكنهم هذا التعدي من إفساد ليس فقط الأشكال الفكرية وإنما الجذور الدينية بشكل تدريجي.

القضية التالية التي شهدتها، تتعلق بخرق العقد بين الشركاء؛ خسارة كلية لرأس المال. اعترف المدعى عليه بالمدعي كمساهم وتم تحويل مبلغ كبير من المال إلكترونياً إلى حساب لنقل أكياس السكر من الخارج. ادعى المدعى عليه أن السفينة انقلبت في وسط المحيط الهندي ودمرت جميع من كانوا على متنها (المصدر: شركة الشحن (غير المؤمنين)). كان المدعي قد قدم وثيقة قانونية من هيئة الميناء (غير مؤمنين) تؤكد أن القارب المعني طليق ما يبطل ضمناً أنه قد هلك. كان الأمر متروكاً للمدعي والمدعى عليه لإقناع القضاة سواء كان ذلك خداعاً عن قصد أو مجرد مأساة غير متوقعة.

كانت هناك عوامل رئيسية في تقرير هذه القضية. أولاً، موقع القارب خارج عن اختصاص القضاة لتحديد وضعه. ثانياً، في الإسلام، لا تجوز شهادة غير مؤمن في المحاكم الشرعية (شخصياً أو ورقياً). قال الله تعالى: (...وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ ۖ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ

إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى). "والمصطلح " ... رجالكم "، يعني أن هؤلاء الرجال يجب أن يكونوا مسلمين للشهادة. في أسوأ السيناريوهات، تكون شهادة المسلم المخادع مقبولة أكثر من غير المؤمن الصادق لأنه وفقاً لكتاب سي إي بوسورث، "مفهوم الذمة في بداية الإسلام : " ... كان الإخفاق العنيد في الاعتراف بالنور الحقيقي للإسلام دليلاً على خلل في الأخلاق وبالتالي عدم القدرة على الإدلاء بالشهادة القانونية".

إن التواجد في المحكمة الشرعية هو عمل جدير بالثناء، وكما أخبرني (المدعى عليه والمدعى)، لم يتخيلوا أبداً أن بحثهم عن العدالة سيصل إلى هذه البلدة، ربما كانت قضية المحكمة مجرد سبب والرحلة ربما كان لديهم غرض آخر لم يدركوه. الآن بعد أن نظرت إلى الوراء، حكمة تتجاوز المعرفة البشرية قد أرشدتنا إلى هذه المحكمة.

شغلت القضية أفكاري وضغط عليّ فضول لا يقاوم للحصول على الحكم. التقيت بالمدعى بشكل غير متوقع في مقهى محلي رغم أننا كنا غرباء في الأفق؛ رجل ودود في منتصف الخمسينيات من عمره يمتلك الحكمة لقبول ما اعتبره قراراً غير مواتٍ ويحافظ على رباطة جأشه في الوقت نفسه. عندما كان يحتسي الشاي ارتسمت عليه ابتسامة لم تكشف عن أي أثر للمرارة، أخبرني أنه تمت تسوية القسم لصالح المدعى عليه. أجرينا محادثة حول مواضيع مختلفة، وأخيراً، لوّح لي وغادر دون علم أنه في نواة زلزال ديني سيبلغ نور حلقاته العالم بأسره في نهاية المطاف.

بالنسبة لي، كنت أعلم بالتأكيد أنني كنت أتابع رحلة استكشافية لاكتشافات جديدة، لكنها فقط أعادت إحياء ما كنت أعرفه بالفعل: ينسق نظام الشريعة بين الجانب الاجتماعي والفكري للحياة البشرية من التنمية الشخصية إلى المصالح

المجتمعية، وليس فقط التوجيه العملي في الحياة ولكن أيضا النضال من أجل الخير في الآخرة. اشتدت قناعاتي، واتسعت وجهة نظري الروحية، واكتسبت انطباعات جديدة من أفكار مألوفة لي، وأيقظت حقيقة معروفة كانت كامنة جزئياً، وتأكدت في محكمة شرعية.

انضم إلى القافلة!

بقلم عبدوب

تحرير حسن جارسو قطولا

ناجيل بورانا، إثيوبيا

وكالة
شهادتك
الإخبارية

وكالة
شهادتك
الإخبارية